

سيرة ابن هشام
الجزء الرابع
صفحة 239 - 267

أدماً كثيراً، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رجل عدو لنا، فأعطينيه لأقتله ، فإنه قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول أصاب من أشرفنا وخيارنا. قال : فغضب ، ثم مديده فضرب بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره ، فلوانشقت لى الأرض لدخلت فيها قرقاً منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك ، قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، أكذلك هو؟ قال : ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : فأتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فيسط يده ، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد رأى عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامى.

عمرو وخالد يجتمعان على الإسلام : ثم خرجتُ عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت ، خالد بن الوليد، وذلك قبل الفتح ، وهو مُقبل من مكة، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسِم¹ ، وإن الرجلَ لنبى، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى؟ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُعقر لى ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو، بايع ، فإن الإسلام

¹ المنسم : هناك من رواه الميسم بالياء، فهي العلامة، أي قد تبين الأمر واستقامت الدلالة، أما المنسم بفتح الميم وبالنون ، فمعناه : استقام الطريق ووجبت الهجرة، والمنسم مقدم خف البعير، وكني به عن الطريق للتوجيه به فيها.

يَجِبُ² ما كان قبله ، وإن الهجرة تَجِبُ ما كان قبلها؛ قال : فبايعته ،
ثم انصرفت³
قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يَحْتُ⁴ ما كان قبله ، وإن الهجرة
تَحْتُ ما كان قبلها.
إسلام عثمان بن طلحة : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم : أن
عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، كان معهما، حين أسلما.
ما قاله ابن الزبير في إسلام عثمان بن طلحة وخالد:
قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبير السَّهْمِي:
أنشد عثمان بن طلحة جلفنا
وما عقد الآباء من كل جلفه
أمفتاح بيت غير بيتك تبتغي
فلا تأمنن خالد أبعد هذه
وَمُلَقَى نَعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبَلِ⁵
وما خالد من مثلها بمحلل
وما يُبْتَعَى من مجد بيت مؤتل
وعثمان جاء بالدهيم المعصل⁶
وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة، ووليتك الحجة
المشركون

. يجب: يقطع²
³ وزاد الزبير في خبر عمرو هذا: أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة
صحبهما في تلك الطريق ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
قال عمرو: وكنت أسن منهما، فأردت
أن أكيدهما، فقدمتهما قبلي للبيعة، فبايعا، واشترطا أن يغفر من
ذنبهما ما تقدم ، فأضمرت في نفسي أن أبايع لا على أن يغفر الله من
ذنبي ما تقدم وما تأخر، فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبي وأنسيت أن
أقول وما تأخر.
. يحت : يسقط⁴
.المقبل : اسم مكان من قبل ويريد به الحجر الأسود⁵
. الدهيم : الداهية⁶

" بسم الله الرحمن الرحيم "

غزوة بني لحيان

خروجه صلى الله عليه وسلم إليهم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهرَي ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع : حُتَيْب بن عَدِي وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة.

استعماله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة : فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

الطريق التي سلكها صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : فسلك على عُرَاب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَحِيص ، ثم على البتراء، ثم صَفَّق⁷ ذات اليسار، فخرج على بين ، ثم على صُحَيْرَات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ⁸ السير سريعًا، حتى نزل على عَرَان ، وهي منازل بني لحيان ، وعَرَان واد بين أمج وعُسْفان ؛ إلى بلد يقال له : سَايَة، فوجدهم قد حَذَرُوا وتمنَّعُوا في رعوس الجبال فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من عَرَّتْهم ما أراد، قال : لو أنا هبطنا عُسْفان لرأى أهل مكة أنا قد جننا مكة، فخرج في مئتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ،

⁷ صفق : عدل .

⁸ أغذ : أسرع .

ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع العَمِيم ، ثم كَرَّ وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلاً.

دعاء العودة : فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعاً: أيون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وَعْثَاء السفر⁹ وكآبة¹⁰ المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال

ما قاله كعب بن مالك في غزوة بني لحيان : والحديث في غزوة بني لحيان ؛ عن عاصم بن عُمَر بن قَتادة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان :

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا لَفُؤوا عُصَباً في دارهم ذات مَضْ¹¹دَق

لَفُؤوا سَرَعَانَا يَمَلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أَمَامَ طَحُونِ كَالْمَجْرَةِ فَيَلْقَ¹²

ولكنهم كانوا وباراً تَبَعَتْ شِعَابَ حِجَارٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفِقِ

⁹ وعثاء السفر: شدته .

¹⁰ الكآبة : الحزن

¹¹ تناظروا: انتظروا. العصب : الجماعات . .

¹² سرعان الناس : سباقهم ، وهم من يتقدمون الجيش . السرب : المال الراعى، كأنه جمع سارب ، ويقال : هو آمن في سربه إذا لم يذعر، ولا خاف على ماله من الغارة،

ومن قال في سربه بكسر السين ، فهو مثل ، لأن السرب هو القطيع من الوحش والطير، فمعنى : آمن في سربه ، أي لم يذعر هو نفسه ولا ذعر أهله ، ولهذا المعنى أشار

من قال من أهل اللغة : معنى في سربه " أي: في نفسه لم

يرد أن النفس يقال

لها: سرب وإنما أراد أنه لم يذعر هو ولا من معه ، لا كالآخر الذي تقدم

ذكره ،

وقيل فيه آمن في سربه بفتح السين ، فكأن الواحد آمن في ماله ، والآخر آمن في نفسه ، ويقال : في سربه ، أي في طريقه أيضاً. الطحون : الكتيبة الضخمة. المجرة : مجموعة من النجوم صغار متلاصقة . الفيلق : فيعمل من الفلق وهى الداهية، وكأنها تفلق القلوب ، وهى الفلقة أيضا.

غزوة ذي قَرَد¹³

ثم قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فلم يَقم بها إلا ليالِي قلائِلَ ، حتى أغار عُيَينة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر القَزاري ؛ في خيل من عَطْفان على لِقاح¹⁴ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة . وفيها رجل من بني غِفَارٍ وامرأهُ له ، فقتلوا الرجلَ واحتملوا المرأةَ في اللقاح .

شجاعة ابن الأكوع في هذه الغزوة : قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حَدَّث في غزوة ذي قَرَد بعض الحديث : أنه كان أولَ من تَدَرَّ¹⁵ بهم سلمةُ بن عمرو بن الأكوع الأسلمي¹⁶ ، غدا يريد الغابة متوسِّحاً قوسه وتبَّله ، ومعه غلام لطلحة ابن عبد الله معه فِرس له يقوده ، حتَّى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سَلَع ، ثم صرخ : واصبأحاه ، ثم خرج يشتدُّ في آثار القوم ، وكان مثل السبع حتَّى لحق بالقوم ، فجعل يردُّهم بالنَّبل ، ويقول إذا رَمَى : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّصَع ، فإذا وُجِّهت الخيل نحوَه انطلق هاربا، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمَى

¹³ ويقال فيه : قرد بضمين، هكذا ألفيته مقيداً عن أبي علي، والقرد في اللغة الصوف الرديء، يقال في مثل : عثرت على الغزل بأخرة فلم تدع بنجد قردة. عن الروض الأنف للسيهلي - من تحقيقنا.

¹⁴ اللقاح : الإبل الحوامل .

¹⁵ نذر: علم .

¹⁶ واسم الأكوع : سنان .

رمى، ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضع¹⁷ ، قال :
فيقول قاتلهم : أَوَيْكعنا هو أول النهار.

تسابق الفرسان : قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
صياحُ ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة : الفزعُ الفزعُ ، فترامت الخيولُ إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأبطال يتلاحقون : وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الفرسان : المِقْدَاد بن عَمْرٍو، وهو الذي يقال له المقداد
بن الأسود، حليف بني زُهرة، ثم كان أول فارس وقف على رسول الله
صلى الله عليه وسلم، بعد المِقْدَاد من الأنصار، عَبَّاد بن بشر بن وقش
بن زُغبة بن رَعُورَاء، أحد بني عبد الأشهل ، وسعد بن زيد، أحد بني كعب
بن عبد الأشهل .

وأَسِيد بن ظَهَيْر، أخو بني حارثة بن الحارث ، يُشك فيه ، وَعُكَّاشَة
ابن مِحْصن ، أخو بني أسد بن خزيمه، ومُخْرِز بن تَصْلَة، أخو بني أسد بن
خُزَيْمَة، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعِي ، أخو بني سَلْمَة، وأبو عِيَّاش ، وهو
عُبَيْد بن زيد بن الصامت ؛ أخو بني زُرَيْق فلما اجتمعوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أَمَر عليهم سعدَ بن زيد، فيما بلغني، ثم قال :
أخرج في طلب القوم ، حتى ألحقك في الناس . وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيْق ، لأبي عِيَّاش
: يا أبا عِيَّاش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلا، هو أفرس منك فلحق بالقوم
؟ قال أبو عِيَّاش : فقلت : يا رسول الله أنا أفرسُ الناس ، ثم ضربت
الفرس . فوالله ما جرى بي خمسين ذراعا حتى طرحني ، فعجبت أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيتَه أفرسَ منك ، أنا
أقول : أنا أفرسُ الناس ، فزعم رجالٌ من بني زُرَيْق أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعطي فرس أبي عِيَّاش معاذ بن معاص ، أو عائذ
بن معاص

¹⁷ اليوم يوم الرضع : يريد يوم اللثام ، أي يجبنهم .

ابن قيس بن خلدة، وكان ثامناً، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو ابن الأكوغ أحد الثمانية، ويطرح أسيد بن ظهير، أخا بني حارثة، والله أعلم أي ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارساً، وقد كان أول من لحق . بالقوم على رجليه فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا .

سبق محرز بن نضلة ومقتله : قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم ابن عمرو بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم مُحْرز بن بَضَلَة ، أخو بني أسد بن خزيمة - وكان يقال لمحرز: الأخرم ، ويقال له قُمير - وأن الفزع لما كان ، جال فرس لمحمود بن مَسْلَمَة في الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صَنِيعاً جَآمِئاً ، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل ، حين رأين الفرس يجول في الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : يا قُمَيْرُ ، هل لك في أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينه إياه ، فخرج عليه ، فلم يلبث أن بدَّ الخيلَ بجمامه ، حتى أدرك القومَ ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا يا معشر بني اللكيعة¹⁸ حتى يلحق بكم من وراءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار. قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرسُ ، فلم يقدر عليه حتى وقف على آريَّة¹⁹ من بني عبد الأشهل فلم يُقتل من المسلمين غيره .

مقتل وقاص بن مجرز: قال ابن هشام : وقُتل يومئذ من المسلمين مع محرز، وقاص بن مُجَرِّز المُدَلجِيّ ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم .

¹⁸ اللكيعة : اللثيمة.

¹⁹ يقصد بالآرية هنا الموضع الذي يربط به الفرس .

أفراس المسلمين : قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود: ذا اللمة. قال ابن هشام : وكان اسم فرس سعد بن زيد: لاحق ، واسم فرسي المقداد: بعزجة، ويقال : سبحة، واسم فرس عكاشة بن مخصن : ذو اللمة، واسم فرس أبي قتادة : حَزْوَة، وفرس عَبَّاد بن بشر: لماع ، وفرس أسيد بن ظهير. مسنون ، وفرس أبي عيَّاش جُلْوَة²⁰ .

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ابن مالك : أن مُجَزَّأ إنما كان على فرس لعكاشة بن مخصن ، يقال له الجناح ، فقتل مُجَزَّأ واستُلبت الجناح .

قتلى المشركين : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن رباعي ، أخو بني سلمة : حبيب بن عُيينة بن حصن ، وعشاه بُرْدَه ، ثم لحق بالناس . وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين .

استعماله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة: قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن إسحاق : فإذا حبيب مُسَجَّى بُرْد أبي قتادة، فاسترجع

²⁰ البعزجة : شدة جري في مغالبة، كأنه منحوت من بعج إذا شق ، وعز، أي غلب وأما سبحة فمن سبح إذا علا علوا في اتساع ومنه : سبحان الله ، وسبحان الله، عظمته وعلوه لأن الناظر المفكر في الله سبحانه يسبح في بحر لا ساحل له ، وأما حزوة، فمن حزوت الير إذا زجرتها، أو من حزوت الشيء إذا أظهرته ، قال الشاعر:

ترى الأمعز المحزو فيه كأنه من الحر واستقباله الشمس مسطح وجلوة: من جلوت السيف ، وجلوت العروس ، كأنها تجلو الغم عن قلب صاحبها. ومسنون من سننت الحديد إذا صقلتها. (الروض الأنف بتحقيقنا ج 4 ص 15).

الناس وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحدة ، فانتظمهما بالرمح فقتلتهما جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به وأقام عليه يوماً وليله ، وقال له سلمة بن عمرو بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحتني في مائة رجل ، لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا بلغني : إنهم الآن ليغبقون²¹ في غطفان .

تقسيم الفيء بين المسلمين : فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جزوراً ، وأقاموا عليها ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً حتى قدم المدينة .

لا نذر في معصية : وأقبلت امرأة الغفاري²² على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها ! إنه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين²³ ، إنما هي ناقة من إبلي ، فارجعي إلى أهلك على بركة الله .

²¹ الغبق : شرب اللبن بالعشي .

²² اسمها : ليلي .

²³ يقول صلى الله عليه وسلم : لا نذر لأحد فيما لا يملك ولا طلاق لأحد فيما لا يملك ، ولا عنق لأحد فيما لا يملك وهو حديث مروى من طريق عبد الله بن عمرو ومن طريق أبي هريرة ، ولكنه لم يُخَرَّج في الصحيحين لعل في أسانيده ، وقد قال بهذا الحديث أن لا طلاق قبل نكاح جماعة من الصحابة وفقهاء التابعين ، وفقهاء الأمصار . وسواء عندهم عين امرأة ، أو لم يعين ، وإليه مال البخاري رحمه الله . ورواه ابن كنانة عن

مالك ، وابن وهب واحتج ابن عباس في هذه المسألة بقوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلرِّجَالِ أَنْ يَسْبِقُوا نِسَاءً فِي شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

والحديث عن امرأة الغفاري وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أبي الزبير المكي، عن الحسن بن أبي الحسن البصري .

ما قاله حسان في غزوة ذي قرد: وكان مما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان بن ثابت

لولا الذي لاقتُ ومس نسورها
بجنوب ساية أمس في وادٍ²⁴

لَلْقَيْتَكُمْ يَحْمِلَنَّ كُلَّ مُدَجَّجٍ
وَلَسَرَّ أَوْلَادَ اللَّقِيْطَةِ أَنَّنَا
كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَحْفَلًا
حامي الحقيقة ماجد الأجدار
سِلْمٌ عَدَائِيٌّ فَوَارِسُ الْمِقْدَارِ
لَجِبًا فَشُكُوا بِالرَّمَاكِ بَدَادٍ²⁵

²⁴ الضمير في لاقت وما بعدها للخليل ، والنسر كالنواة في باطن الحافر وفي الفرس عشرون عضواً، كل عضو منها يسمّى باسم طائر، النسر والنعامة والهامة والسمامة والسعدانة، وهي الحمامة، والقطاة والذباب والعصفور والغراب والمرد والصقر والحرب والناهض، وهو فرخ العقاب ، والخطاب . . . الخ . . . وساية: اسم موضع .

²⁵ بداد: من التبدد، وهو التفرق ، وهو في موضع نصب غير أنه مبني ونصبه كانتصاب المصدر، إذا قلت : مشيت القهقري، وقعدت القرفصاء، وكأنه قال : طعنوا الطعنة التي يقا لها بداد، وبداد مثل فجار من قوله : احتملت فجار، جعلوه اسماً علماً للمصدر،

كما قالوا: فعلت برة علماً للبر، وسر هذه العلمية في هذا الموطن أنهم أرادوا الفعل الأتم الذي يسمى باسم ذلك الفعل حقيقة، فقد يقول الإنسان بر فلان وفجر أي قارب أن يفعل ذلك أو فعل منه بعضه ، فإذا قال : فعلت برة، فإنما يريد البر الذي يسمى برا على الحقيقة، فجاء بالاسم العلم الذي هو عبارة عن مسماه حقيقة، إذ لا يتصور هذا الضرب من المجاز في الأعلام، وكذلك أراد الفجور على الحقيقة وأراد رفع المجاز سماه ، فجاز تحقيقاً للمعنى، أي : مثل هذه الفعلة ينبغي أن تسمى باسم الفجور حقيقة، وكذلك قالوا في النداء: يا فساق ويا فسق فجاءوا بالصيغة المعروفة، العلمية المعروفة مع النداء خاصة، أي : إن هذا الاسم ينبغي أن يكون اسمه الذي يدعى به ، إذا الاسم العلم ألزم لمسماه من اسم مشتق من فعل

فعله ، لأن الفعل لا يثبت ، والاسم العلم يثبت ، فهذا هو مغزاهم في هذه الأسماء التي هي

على صيغ الأعلام في هذه المواطن . (وانظر الروض الأنف للإمام السهيلي - بتحقيقتنا) .

وَيُقَدِّمُونَ عِنَانَ كَلِّ جَوَادٍ
يَقْطَعْنَ غُرْضَ مَخَارِمِ الْأَطْوَادِ²⁶
وَتَوُوبُ بِالْمَلَكَاتِ

في كَلِّ مُعْتَرِكٍ عَطْفَنَ رَوَادِي²⁸

يَوْمَ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمَ طِرَادٍ
وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ عَوَادٍ²⁹
جُنَّتِ الْحَدِيدِ وَهَامَةَ الْمُرْتَادِ³⁰
وَلِعَزَّةَ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْدَادِ
أَيَّامَ ذِي قَرَدٍ وَجَوْهَةَ عِبَادٍ

قال ابن هشام : فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد، وحلف أن لا يكلمه أبدا، قال : انطلق إلى خيلي وفوارسى فجعلها للمقداد! فاعتذر إليه حسان وقال : والله ما ذاك أردت ، ولكن الروي وافق اسم المقداد وقال أبياتا يرضى بها سعداً:

كنا من القوم الذين يُلَوِّثُهُمْ
كلا وربِّ الراقصاتِ إلي مِنى
حتى نُبَيْلَ الْخَيْلِ فِي عَرَصَاتِكُمْ
وَالْأَوْلَادِ²⁷
رَهْوَاً بِكَلِّ مُقْلَصٍ وَطِمْرَةٍ

أَفْنَى دَوَابِرَهَا وَوَلَاخَ مُتَوْتِهَا
فَكَذَاكَ إِنَّ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ
وَسِيوفُنَا بِيضُ الْحَدَائِدِ تَجْتَلِي
أَخَذَ الْإِلَهُ عَلَيْهِمْ لِحْرَامِهِ
كَانُوا بَدَارِ نَاعِمِينَ فُبَدَّلُوا

²⁶ الراقصات : الإبل . والرقص للإبل : نوع من المشي . المُحَارِم : الطريق . الأطواد: الجبال .

²⁷ نُبَيْلَ الْخَيْلِ : نجعلها تبول .

²⁸ الرهو: أي مشياً بسكون وتؤدة، ويقال لمستنقع الماء أيضاً الرهو، والرهو من أسماء الكركي . المقلص : المشمر . طمرة : فرسة سريعة . روادى: أي تردي بفرسانها، أي : تسرع .

²⁹ ملبونة: تسقى اللبن .

³⁰ تجتلي : تقطع . الجنن : الأسلحة والمرتاد: المحارب .

إذا أردتم الأشدَّ الجلدَا أو ذا غناء فعليكم سَعْدَا
سعدَ بنَ زيد لا يُهد هَدَا

فلم يقبل منه سعد ولم يغن شيئاً.

وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد:

أَظِنَّ عُيْبَتَهُ إِذْ زَارَهَا بَانَ سَوْفَ يَهْدُمُ فِيهَا قِصُورَا
فَكَذِبْتُ مَا كُنْتُ صَدَّقْتَهُ وَقَلْتُمْ سَنَعْتُمْ أَمْرًا كَبِيرَا
فَعَيْقَتِ الْمَدِينَةَ إِذْ زَرَّتْهَا وَأَنْسَتِ لِلْأَسَدِ فِيهَا زُبَيْرَا
فَوَلُّوْا سِيرَاعًا كَشَدَّ النِّعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَن مُلِيطٍ حَصِيرَا³¹
أَمِيرِ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِكِ أَحَبُّ بَذَاكَ إِلَيْنَا أَمِيرَا
رَسُولُ نَصْدَقِ مَا جَاءَهُ وَيَتَلَوُ كِتَابًا مُضِيئًا مَنِيرَا

ما قاله كعب في يوم ذي قرد: وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد
للفوارس :

أَتَحْسَبُ أَوْلَادُ اللَّقِيْطَةِ أَنْبَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ
وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا نَنْشَى عِنْدَ الرِّمَاحِ الْمَدَاعِيسِ³²
وَإِنَّا لَتَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمَعِ الدَّرَا وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلُخِ³³
المتشبه
نَرُدُّ كُمَاهُ الْمُعْلَمِينَ إِذَا اتَّخَوْا بِضَرْبِ يُسَلِّي تَخْوَةَ³⁴
المتقاعس

³¹ ملط : من قولهم : أَلطت الناقة بذنبها إذا وضعت بين فخذيهما، حصيراً؛
يعنى بالحصير ما يكنف به حول الإبل من عيدان الحظيرة، ويريد أنهم لم
يستطيعوا الإغارة على

الغير ولم يكشفوا ما تستتر به .

³² المداعس : المطاعن .

³³ قمع الذرا: أعالي الأسنمة، الأبلخ : المتعاضم . المتشاورس : الجريء

في القتال .

³⁴ اتخوا: تكبروا، المتقاعس: الراكب رأسه .

بَكْلٌ فَتَى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جِدِ كَرِيمٍ كَسِرْحَانِ الْعَصَاةِ
 مُخِ السِّ³⁵
 # يَدُوذُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بَيْضٌ تَفُدُّ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَائِسِ
 # فَسَائِلُ بَنِي بَدْرٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ
 # إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقَيْتُمْ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي
 الْمَجْجِ السِّ
 # وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَجَرَفِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُمَارِسِ³⁶

قال ابن هشام : أنشدني بيته : " وإنا لنقري الضيف " أبو زيد.
 شعر شداد الجشمي لعينة : قال ابن إسحاق : وقال شداد بن
 عارض الجشمي، في يوم ذي قرد: لعينة بن حصن ، وكان عينة ابن
 حصن يكنى بأبي مالك :

فَهَلَّا كَرَزْتَ أبا مَالِكٍ وَحَيْلُكَ مُدِيرُهُ تُفْتَلُ
 وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعَدَ الْمُفْقَلُ³⁷
 # ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجَرٍ وَطَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ
 # وَطَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ إِذَا قَبَّضْتَهُ إِلَيْكَ الشَّمَا
 # لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ الْمَرْجَلُ لَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ
 # لَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ لَمَّا عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عَوَّدُوا
 # إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشَقَّى بِهِمْ إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشَقَّى بِهِمْ
 # فَيَعْتَصِمُوا فِي سِوَاءِ الْمُقَامِ مِ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصَّيْقَلُ³⁹

³⁵ السرحان : الذئب . وغصاة: جمعها غصا: شجر خشبة من أصلب
 الخشب وجمره شديد الإلهاب ؟ ويقال ذئب الغصاة مثل يضرب في الخداع
 والاحتتيال .

³⁶ الخادر: الأسد الذي يلزم الخدر وهو بيته . الوجر: الحقد.

³⁷ عسجر: موضع بمكة .

³⁸ " ذا ميعة " : ذا نشاط . المسح : الكثير الجري .

³⁹ أسهلوا: نزلوا السهل .

غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ست

قال ابنُ إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعضَ جُمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المصطلق من خُزاعة⁴⁰ ، في شعبان سنة قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا دَر الغفاري ، ويقال : نُمَيْلة بن عبد الله الليثي .

سببها: قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله ابن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، كل قد حدثني بعضَ حديث بني المصطلق ، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جُوَيْرية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المُرْبِيع⁴¹ ، من ناحية قَدِيد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق ، وقُتِل من قُتِل منهم ، وتَقَل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفأهم عليه .
استشهاد ابن صُبابة خطأ: وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من كَلْب بن عَوْف بن عامر بن لَيْث بن بكر، يقال له : هشام بن صُبابة،

⁴⁰ وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة، فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق ، وهو رفع الصوت .

⁴¹ المربيع : وهو ماء لخزاعة، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمعت من فساد.

أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ.

ما وقع من الفتنة بين المهاجرين والأنصار: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له : جَهَّاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جَهَّاه وسنان بن وَبَر⁴² الجُهني، حليف بني عَوْف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجُهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جَهَّاه : يا معشر المهاجرين⁴³ ، فغضب عبدُالله بن أبي ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حَدَث ، فقال : أَوْقَدُ فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش⁴⁴ إلا كما قال الأول : سَمَّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلُكَ ، أما والله لئن رجعنا إلا المدينة لِيُخْرِجَنَّ

⁴² وقيل إنه : سنان بن تميم ، من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار. انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج 3 ص 17 .

⁴³ وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما. قال : دعوها فإنها منتنة، يعني : أنها كلمة خبيثة، لأنها من دعوى الجاهلية، وجعل الله المؤمنين إخوة وحبزاً واحداً،

فإنما ينبغى أن تكون الدعوة يا للمسلمين ، فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين

سوطاً اقتداءً بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر، فأقبل يشتد بعصبة له . والقول الثاني : أن فيها الجلد دون العشرة لنهي

عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد، والقول الثالث : اجتهاد الإمام

في ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر، إما بالوعيد، وإما بالسجن وإما بالجلد.

فإن قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها؟ قلنا: قد قال دعوها

فإنها منتنة، فقد أكد النهي، فمن عاد إليها بعد هذا النهي، وبعد وصف النبي صلى الله عليه وسلم لها بالإنتان وجب أن يؤدب ، حتى يشم تنتها، كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجعدي ،

فلا معنى لتنتها إلا سوء العقوبة فيها والعقوبة عليها. (عن الروض الأنف - بتحقيقنا) .

⁴⁴ لفظ أطلقته قريش على المهاجرين .

الأعزُّ منها الأذلُّ . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُرِّبٌ به عَبَادٌ بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف يا عُمَرُ إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعةٍ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس .

نفاق ابن أبيّ : وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قال ، ولا تكلمتُ به . - وكان في قومه شريفاً عظيماً - ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلامُ قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال ، حَدِّبَاً على ابن أبيّ ابن سلول ، ودَفِّعَا عنه .

من أسباب نفاق ابن أبيّ : قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أسيد بن حُصَير ، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رحت في ساعة منكراً ، ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله قال : عبد الله بن أبيّ ، قال : وما قال ؟ قال . زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلُّ ، قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، وهو والله الذليلُّ وأنت العزيزُّ ، ثم قال : يا رسول الله ، ارفقْ به ، فوالله لقد جاءنا الله

بك ، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا. انشغال الناس عن الفتنة: ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، ولبتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى أذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أبي .

موت رفاعة بن زيد وتنبؤ الرسول بموته : ثم راح رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَيْقِ النقيع ، يقال له : بقعاء. فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة أذتهم وتخوفوها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار. فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت ، أحد بني قَيْنِقَاع وكان عظيما من عظماء اليهود، وكهفا للمنافقين ، مات في ذلك اليوم .

ما نزل في ابن أبي : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى الله بإذنه . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله الابن من أبيه : قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم ابن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلا فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإنى أخشى أن تأمر به غيري

فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشى في الناس ، فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا⁴⁵ .
وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه وبأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر؛ أما والله لو قتلته يوم قلت أقتله ، لأزعدت له أنف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ، قال عمر: قد والله علمتُ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري .

مخادعة مقيس بن صبابه : قال ابن إسحاق : وقدم مقيس بن صبابه من مكة مسلما، فيما يظهر، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلما، وجئتك أطلب دية أخي، قُتل خطأ. فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صبابه، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير، ثم عدا

⁴⁵ وفى هذا العلم العظيم والبرهان النير من أعلام النبوة، فإن العرب كانت أشد خلق الله حمية وتعصبا فيبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم في قتل أبيه وولده ، تقربا إلى الله ، وتزلفا إلى رسوله ، مع أن الرسول - عليه السلام - أبعد الناس نسبا منهم ، وما تأخر إسلام قومه وبنى عمه وسبق إلى الإيمان به الأبعد إلا لحكمة عظيمة، إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به لقبل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له ، فلما بادر إليه الأبعد، وقاتلوا على حبه

من كان منهم أو من غيرهم ، علم أن ذلك عن بصيرة صادقة ويقين قد تغلغل في قلوبهم ، ورهبة من الله أزلت صفة، قد كانت ثبتت ولزمت - في نفوسهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتها إلا الذي فطر الفطرة الأولى، وهو القادر على

ما يشاء، وأما عبد الله بن عبد الله فكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان اسمه حباب ، وبه كان يكنى أبوه ، فسماه رسول الله صلى الله

عليه وسلم! عبد الله، مات شهيدا باليمامة رضى الله عنه .

البرهان النير من أعلام النبوة، فإن العرب كانت أشد خلق الله حمية وتعصبا فيبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم في قتل أبيه وولده ، تقربا إلى الله ، وتزلفا إلى رسوله ، مع أن الرسول - عليه السلام - أبعد الناس نسبا منهم ، وما تأخر إسلام قومه وبنى عمه وسبق إلى الإيمان به الأبعد إلا لحكمة عظيمة، إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به لقبل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له ، فلما بادر إليه الأبعد، وقاتلوا على حبه من كان منهم أو من غيرهم ، علم أن ذلك عن بصيرة صادقة ويقين قد تغلغل في قلوبهم ، ورهبة من الله أزلت صفة، قد كانت ثبتت ولزمت - في نفوسهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتها إلا الذي فطر الفطرة الأولى، وهو القادر على ما يشاء، وأما عبد الله بن عبد الله فكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان اسمه حباب ، وبه كان يكنى أبوه ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم! عبد الله، مات شهيدا باليمامة رضى الله عنه .

عل قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً، فقال في شعر يقوله

شفَى النفسَ أن مات بالقاع مُسنداً تُصَرِّحُ ثوبيه دماءُ
الأخ⁴⁶
وكانت همومُ النفس من قبلِ قتيلِهِ تِلْمُّ فتَحْمِينِي وِطَاءِ
المضج
حلت به وِئري وأدركتُ تُؤرّتي وكنت إلى الأوثانِ أولِ
راج
تأرثُ به فهرا وحملت عَقْلَه سراةَ بني النجارِ أربابَ فارِع⁴⁷
وقال مِقْيَسُ بنِ ضَبابةٍ أيضاً:
جللته ضربةٌ بات لها وسَل من ناقِعِ الجَرْفِ يعلوه
وبئص
فقلتُ والموت تَعْشاها أسيرته لا تأمننَّ بني بكرٍ إذا
ظلم
وا

شعار المسلمين : قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم
بني المصطلق : يا منصور، أمثُ أمثُ .

قتلى بني المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بني المصطلق
يومئذ ناس ، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين ، مالكاً وأبته ، وقتل
عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم ، يقال له : أحمر، أو أَحيمر.
حديث جورية بنت الحارث رضي الله عنها: وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبباً كثيراً، فشا قسمه في المسلمين ؟
وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث بن أبي ضَرَارِ،
زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : وحدثني
محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة ابن الزبير، عن عائشة، قالت : لما
قسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا

⁴⁶ الأخادع : يريد الأخدعان : وهما عرقان بالقفا.

⁴⁷ فارع : حصن كان لبني النجار بالمدينة .

بني المصطلق وقعت جَوْبِرِيَّة بنت الحارث في السهم لثابت بن قَيْس ابن الشَّمَّاس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مُلَاحَةً⁴⁸ ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها؛ وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جوْبِرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه وقد أصابني من البلاء، ما لم يخف عليك ، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي، قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضي عنك كتابتك وأتزوجك

قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت⁴⁹ .

⁴⁸ الملاح أبلغ من المليح في كلام العرب ، وكذلك الوضاء أبلغ من الوضىء ، والكبار كذلك أبلغ من الكبير، غير أنه لا يوصف البارى سبحانه بهذا اللفظ ، فيقال فيه كبار بمعنى كبير، لأنه على بنية الجمع ، نحو ضراب وشهاد، فكان لفظ الكبير ونحوه أبعد من الاشتراك ، وأدل على الوجدانية، والله أعلم . أما معنى: الملاحه، فذهب قوم إلى أنها من الملح وهى البياض ، تقول العرب : عنب ملاحى - والصحيح في المليح ،

أنه مستعار من قولهم : طعام مليح إذ كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه ، ولذلك إذا بالغوا في المدح قالوا: مليح قزيع ، وقال الأصمعي: الحسن في العينين ، والجمال في الأنف، والملاحه في الفم .

⁴⁹ وكان نظره عليه السلام لجوْبِرِيَّة حتى عرف من حسننها ما عرف ، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء، وأيضا إنما نظر إليها، لأنه نوى نكاحها كما نظر إلى المرأة التي قالت : إنني قد وهبت لك نفسي يا رسول الله ، فصعد فيها النظر ثم صوّب ، ثم أنكحها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها،

وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : لو نظرت إليها، فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثبيته بنت الضحاك ، وقد

أجازه مالك في إحدى الروايتين عنه ، وفى مسند البزار من طريق أبى بكره لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة "أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حريم، فكشفت عن وجهك ،

فقال : هذه امرأتك ، فقلت : إن يكن من عند الله يمضه . وهذا استدلال حسن. (عن الروض الأنف - بتحقيقنا). وراجع فهارسنا لفتح البارى المسمامة مفاتيح القارى ط

عالم الكتب - بيروت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد تزوج جويرة

ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وأرسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها
مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على
قومها بركة منها. قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غزوة

بني المصطلق ومعه جويرة بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع
جويرة إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار
بفداء ابنته ؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب
في بيعين منها، فغيبهما في شعب من شعب العقيق ، ثم أتى إلى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق
، في شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك
محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث ،
وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، . وأرسل إلى البعيرين ، فجاء
بهما، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودُفعت إليه ابنته
جويرة، فأسلمت ، وحسن إسلامها؛ فخطبها رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربعمائة درهم . قال ابن اسحاق
: وحدثني يزيد بن رومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عتبة بن أبي مَعَيْط ، فلما سمعوا
به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم

فأخبره أن القوم قد هَمُّوا بقتله ، ومنعوه ما قَبَلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم ، حتى هَم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم فبينما هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لِنُكْرِمَهُ ، ونؤدي إليه ما قَبَلنا من الصدقة ، فانشمر⁵⁰ راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله مما جئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى

فيه وفيهم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَا فَيَبِّئُوا أَن تَصِيبُوا قَوْمًا بَجَاهَلَةٍ فَتُضْحِكُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ بِيَادِمِينَ* وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ } . [الحجرات: 6,7] . . إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثني من لا أتهم عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق

قال ابن اسحاق : حدثنا الزهري ، عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد ابن جبير ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيدالله بن عتبة ، قال : كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدثني القوم .

مَنْ كَانَ يَسَافِرُ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي
يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنِ
أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، عَنْ نَفْسِهَا ، حِينَ قَالَ
فِيهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا ، فَكُلُّ قَدْ دَخَلَ فِي حَدِيثِهَا عَنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا يَحْدُثُ
بَعْضُهُمْ مَا لَمْ يَحْدُثْ صَاحِبُهُ ، وَكُلُّ كَانَ عَنْهَا ثِقَةً ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَ عَنْهَا مَا
سَمِعَ

قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفْرًا أَقْرَعَ
بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَأَيْتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمَهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةَ بَنِي
الْمِصْطَلِقِ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، فَخَرَجَ سَهْمِي عَلَيْهِنَّ مَعَهُ ،
فَخَرَجَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

سَقُوطُ عَقْدِ عَائِشَةَ وَتَخَلُّفُهَا لِلْبَحْثِ عَنْهُ : قَالَتْ : وَكَانَ النِّسَاءُ
إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَ⁵¹ لَمْ يَهْجُنَ اللَّحْمَ فَيَثْقُلْنَ⁵² ، وَكَانَتْ إِذَا رَجَلَتْ
لِي بَعِيرِي جَلَسْتُ فِي هُودَجِي ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمُ الَّذِينَ يُرَجِّلُونَ لِي
وَيَحْمِلُونَنِي ، فَيَأْخُذُونَ بِأَسْفَلِ الْهُودَجِ فَيُرْفَعُونَهُ ، فَيَضَعُونَهُ عَلَيَّ ظَهْرَ
الْبَعِيرِ ، فَيَشِدُونَهُ بِحَبَالِهِ ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ . قَالَتْ :
فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ ، وَجَّهَ قَافِلًا ،
حَتَّى

إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ فَانْزَلَ مَنْزِلًا ، فَبَاتَ بِهِ بَعْضَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ أَدْنَى
فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ ، وَخَرَجَتْ لِبَعْضِ حَاجَتِي ، وَفِي
عَنْقَى

⁵¹ العُلُق : جمع علقة: ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية.

⁵² التهيج : انتفاخ في الجسم قد يكون من سمن ؟ وقد يكون من آفة ،
قال الأصمعي : هجمت على حي من العرب بواد خصيب وإذا ألوانهم مصفرة
ووجوههم مهيجة ، فقلت لهم : ما بالكم ؟ وادىكم أخصب واد ، وأنتم لا تشبهون
المخاصب . فقال لي شيخ منهم : إن بلدنا ليست له ريح ، يريد: أن الجبال
أحاطت به فلا تذهب الرياح وباءه ولا رمده .

عقد لي ، فيه جَزَع ظَقَار⁵³ ، فلما فرغْتُ انسلَّ من عنقي ولا أدري ، فلما رَجَعْتُ إلى الرجل ذهبت ألتمسه في عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كان يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أني فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من دَاعٍ ولا مجيب ، قد انطلق الناس .

صفوان بن المعطل يعثر على عائشة : قالت : فتلففت بجلبابي ، ثم اضطجعت في مكاني . وعرفت أن لو قد أفتقدت لرجع إليّ ، قالت : فوالله إنني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته⁵⁴ ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادِي ، فأقبل حتى وقف عليّ ، وقد كان يراني قبل أن يُصْرَبَ علينا الحجابُ ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متلفة في ثيابي ، قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت :

⁵³ الجزع : الخرز . ظفار : مدينة باليمن ينسب إليها هذا الخرز .
⁵⁴ وهو صفوان بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمى الذكواني ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقه العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا ، وقد روي في تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقیل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ، وبشهادة لصحة هذا حديث أبي داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت أشياء منها أنه لا يصلي الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إنني امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس . فقال له النبي عليه السلام : فإذا استيقظت فصل ، وقد ضعف البزار حديث أبي داود هذا في مسنده . وقُتِلَ صفوان بن المعطل شهيدا في خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قُتِلَ ، فطاعن بها ، وهي منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط . رضى الله عنه وعن صحابة رسول الله أجمعين .

فما كَلَّمته ، ثم قَرَّبَ البعيرَ ، فقال : اركبى ، واستأخر عنى . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعا ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما أطمأنوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهلُ الإفك ما قالوا ، فارتعج⁵⁵ العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

مرضها وإعراضه عليه السلام عنها: ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا، إلا أني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني، ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك ؛ فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندى أمي تمرضنى .

قال ابن هشام : وهى أم رومان ، واسمها زَيْنَب بنت عبد دُهمان ، أحد بني فراس بن عَنَم بن مالك بن كنانة - قال : كيف تيكم ، لا يزيد على ذلك .

انتقالها إلى بيت أبيها لتمريرها: قال ابن إسحاق : قالت : حتى وَجَدْتُ في نفسي ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ ما رأيتُ من جفائه لى : لو أذنت لى ، فانتقلت إلى أمي ، فمَرَّضتني؟ قال : لا عليكِ . قالت : فانتقلت إلى أمي ، ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُف التي تتخذها الأعاجم ، نَعافُها ونكرها، إنما كنا

نذهب في فُسْحِ المدينة، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن . فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعى أم مِسْطَح بنت أبي رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب ابن تَيْم ، خالة أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

علمها بما قيل فيها : قالت : فوالله إنها لتمشى معي إذ عثرت في مِرْطِهَا⁵⁶ ! فقالت : تَعَسَ مِسْطَح ومسطح لقب واسمه عَوْف ، قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت : قلت : وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوقد كان هذا؟ قالت : نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سَيَصْدَعُ كبدى، قالت : وقلت لأمى: يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا قالت : أي بُتية، خَفَّضَ عَلَيْكَ الشَّانَ ، فوالله لَقَلَّما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا كَثُرْنَ وكَثُرَ الناس عليها.

خطبته صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن : قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يُؤَدِّونني في أهلى، ويقولون عليهم غيرَ الحقِّ ، والله ما علمتُ منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً، وما يدخل بيتا من بيوتي إلا وهو معى .

من أشاع حديث الإفك : قالت : وكان كُبر ذلك⁵⁷ عند عبد الله ابن أبي ابن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح ، وحمّنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن من نسائه امرأة ثناصيني⁵⁸ في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمّنة بنت جحش، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادّني لأختها، فشقيت بذلك .

ما اقترحه المسلمون بعد خطبته صلى الله عليه وسلم : فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة، قال أسيد بن حصير: يا رسول الله ، إن يكونوا

من الأوس تكفيهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمُرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً فقال . كذبت لعمر الله ، لا نضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا، فقال أسيد: كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل من المنافقين ، قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شراً ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل عليّ .

الرسول يستشير علياً وأسامة : قالت : فدعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد، فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى عليّ خيراً، وقاله ؛ ثم قال : يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً،

⁵⁷ كبر ذلك : إثمه .

⁵⁸ في الأصل (ثناصيني) ولكن قال السهيلي في الروض الأنف أن الحديث في ثناصيني من المناصاة، أي المساواة. انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج 4 ص 21 .

وهذا الكذبُ والباطلُ . وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساءَ
لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف وتسلّ الجارية، فإنها ستصدقك .
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها⁵⁹؛ قالت : فقام
إليها علي بن

أبي طالب ، فضربها ضرباً شديداً، ويقول : اصدقني رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فتقول والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت
أعيب على عائشة شيئاً، إلا أني كنت أعجن عجيني، فأمرها أن تحفظه ،
فتنام عنه ، فتأتي الشاة فتأكله .

حزن عائشة ونزول القرآن ببراءتها: قالت : ثم دخل عليّ رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعندي أبواي ، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا
أبكي ، وهي

تبكي معي ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة،
إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقي الله ، وإن كنت قد قارفت
سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ؛
فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك ، فقلص دمعى حتى ما أحسُّ منه شيئاً،
وانتظرت أبويّ أن يُجيبا عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم
يتكلما قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر في نفسي ، وأصغر شأننا من أن
يُنزل الله في قرآننا يُقرأ به في المساجد، ويصلى به ، ولكنني قد كنت
أرجو أن يرى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً يكذب به
الله عني : لما يعلم من براءتي، أو يُخبر خيراً، فأما قرآن ينزل في،
فوالله لنفسي كانت أحقرَ عندي من ذلك .

⁵⁹ بريرة : هي مولاة عائشة رضي الله عنها التي اشترتها من بني كاهل
فأعتقتها، وخُيرت في زوجها وكان عبداً لبني جحش . هذه رواية أهل المدينة،
وفي رواية أهل العراق

أنه كان حراً، وهي رواية الأسود بن يزيد عن عائشة، والأولى رواية عروة
والقاسم ابن محمد عن عائشة، وكذلك يقولون بتخيير الأمة إذا عتقت ، وإن
كان بعلمها حراً،

وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم ، فلا يرون تخييرها، إلا إذا كان
زوجها عبداً، وعاشت بريرة حتى روى عنها الحديث بعض التابعين . انظر لابن
رشد الحفيد (بداية المجتهد) بتحقيقنا ط دار الجيل - بيروت .

قالت : فلما لم أر أبويَّ يتكلمان ، قالت : قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت : فقالا: والله ما ندرى بماذا نجيبه ، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام ؛ قالت : فلما أن استعجما علي ، استعبرت فبكيت ؛ ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً والله إنني لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس ، والله يعلم أنني منه بريئة، لأقولنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني .

قالت : ثم التمسيت اسمَ يعقوبَ فما أذكره ؛ فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف . { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف: 18] قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ؛ فسجَّي بثوبه ووَضعت له وسادة من آدم تحت رأسه ؛ فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ؛ فوالله ما فزعت ولا باليت ، قد عرفت أنني بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمي ، وأما أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرجنَّ أنفسهما، قَرَاقاً من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس .

قالت : ثم سُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجلس، وإنه ليتحدر منه مثلُ الجمان⁶⁰ في يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشري يا عائشة؟ فقد أنزل الله براءتَكَ ، قالت قلت : بحمد الله .

ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حدَّهم .